

## الحلقة (٢١)

### باب الحث على الخشوع في الصلاة

**تعريفه:** الخشوع في الصلاة: هو السكون فيها، وقال البغوي: الخشوع في البدن والبصر والصوت، وقال أبو الشيماء في تعريف الخشوع: هو التذلل والتواضع لله بالقلب والجوارح. وقال ابن القيم: جماع الخشوع هو التذلل للآمر، والاستسلام للحكم، والانصياع للحق، فيتلقى الأمر بقبول وانقياد، ويستسلم للحكم بلا معارضة ولا رأي، و[يتضح] قلبه وينكسر لنظر الرب إلى قلبه وجوارحه.

### **وعلى ضوء الأقوال المتقدمة نشأ خلاف أهل العلم، هل الخشوع من أعمال القلب أو من أعمال الجوارح؟**

فالسكون هنا قد يكون من أعمال الجوارح وقد يكون من أعمال القلب، فهل يكون من هذا أو يكون من هذا؟

والذي يتبين والله أعلم من هذا أن **الخشوع يجتمع فيه الأمران**: القلب والجوارح، بناء على التعريفات السابقة، هذا ما نص عليه الرازي فيقول: "أنه عامٌّ للقلب والجوارح" وله دليل من كلام السلف، والحديث من باب المقطوع قول التابعي سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى إذ يقول: "لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه" فهذا من الأدلة على أن الخشوع في الظاهر يصحبه خشوع في الداخل، وإذا حصل في الظاهر تغير تبين أن الداخل ليس منضبط، يعني كالإنسان الذي يفعل المعاصي ظاهراً فنقول في مثل هذا القلب فيه مرض حتماً، مادام يعمل المعصية فالقلب فيه مرض ويحتاج إلى علاج، وهذا نقوله لمن يرتكب معصية إما يخل بواجب أو يرتكب محرم، يعني يأتي منهياً أو يترك واجباً، فإذا قيل له: اتق الله قال التقوى هاهنا ويشير إلى قلبه، مستدلاً بقول النبي صلى الله عليه وسلم، نعم التقوى هاهنا لكن لها دلائل ظاهرة أن تظهر على الجوارح، فإذا ما يظهر على الجوارح فيه دلالة أو قرينة، فإذا ظهر على الجوارح المعاصي ففيه دلالة على وجود خلل في القلب، أما إذا كان الظاهر سليماً، فنقول هذه قرينة، لأنه يحصل بها التصنع أحياناً فتكون قرينة، قد يكون الداخل سليماً أو تكون فيه علة الله أعلم، إنما هذه قرينة على سلامة الباطن، هذه قرينة وليس هي واضحة عندنا.

فكلام سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى "لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه" دليل على أن الخشوع في القلب والجوارح، يكون الخشوع بالقلب والجوارح، فإذا هذا تعريف الخشوع.

ولعل تقدم معنا بعض الإشارة إلى هذا، وأن العبد يخشع في صلاته ويقبل عليها ببدنه وبقلبه، وبلا شك أن استحضر القلب في الصلاة له أسباب.

### من هذه الأسباب التي يذكرها العلماء:

**الأول:** الاستعاذة بالله تعالى من الشيطان الرجيم فإذا استعاذ العبد من الشيطان فالحمد لله سبحانه وتعالى وقاه إياه وذهب، انخنس الشيطان وذهب، لأن الشيطان إنما يأتي الإنسان في صلاته فيشغله ويوسوس له ويبعده عن صلاته.

**الثاني:** تدبر قراءة الصلاة وأنواع الذكر فيها، سواء كان هو القارئ المصلي أو سامعاً للإمام كان مأموماً ويسمع الإمام يقرأ، فيفكر في معاني هذه الآيات التي يسمعها، ثم يفكر في حركات الصلاة وتنقلاتها وفي ركوعه وفي سجوده، هذا فيه تذلل وخضوع لله سبحانه وتعالى، تعظيم لله سبحانه وتعالى، العبد ينكسر هذا الانكسار فيه تعظيم لله سبحانه وتعالى، لأن هذا الانكسار إنما كان لله سبحانه وتعالى وهو مدح للعبد أن ينكسر وينثني أمام الله سبحانه وتعالى، نعم لو كان هذا التذلل لعبد أو لمخلوق مثله نعم هذه ذلة وصغار، أما في جانب الله سبحانه وتعالى فهو مدح، فالعبد يتذلل وينكسر بين يدي الله سبحانه وتعالى هذا موطن حمد وحسن فعل لهذا المسلم.

**الثالث:** استحضر عظمة الله سبحانه وتعالى وأن المصلي يناجيه متوجهاً إليه، فعند استحضر عظمة الله سبحانه وتعالى لا ينشغل بغير هذا، وهو يقبل على صلاته ليعظم له الأجر.

**الرابع:** معرفة ضعف الإنسان وفقره في حالة ركوعه وسجوده لجلال الله سبحانه وعظمته.

**الخامس:** حصر النظر في موضع السجود، لأن النظر يتبعه القلب غالباً، فإذا ذهب النظر يمتد ويسر الف قلب معه، ويجد الإنسان ما يشغله إذا تجاوز في بصره، فلذلك حري به أن ينظر إلى موضع سجوده ويشغل باله وفكره بمتابعة ما يقرأ أو ما يسمع، وما يمر عليه من أذكار وحركات وتنقلات في الصلاة.

**السادس:** أن لا يدخل الصلاة وهو في انشغال بال من أجل شهوة أكل أو شرب أو من أجل مدافعة أحد الأخبثين.

هذه الأمور تعين بإذن الله تعالى على استحضر القلب في الصلاة، ولعل هذا السبب الأخير يأتي له زيادة بيان إن شاء الله تعالى.

**أما الحديث فمعنا حديث واحد وهو:** عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(إذا قُدمَ العشاء فابدؤوا به قبل أن تُصلوا المغرب)** مُتفق عليه، طبعاً في الصحيح، لسنا في حاجة بيان درجته.

### **الألفاظ الواردة:**

العشاء، وهو بالفتح والمد: طعام الليل، الذي يُتَعَشَّى به وقت العشاء بالكسر.

### **الأحكام المستنبطة من الحديث**

دل الحديث على أنه إذا كان وقت صلاة المغرب وقد قُدمَ طعام العشاء، والنفوس متشوقة إليه فإن الأفضل هو تقديم الطعام قبل أداء الصلاة، لكن ينبغي لنا هنا أن ندرك أنه متشوق إليه فينشغل باله لو صلى وهو كذلك هذا **الأمر الأول**.

**الأمر الثاني:** أن لا يفوت أمراً واجباً عليه. **الأمر الثالث:** أن لا يخرج الصلاة عن وقتها.

فإذا تحقق ذلك فنعم، أما إذا كان مجرد رغبة عابرة لا تؤثر فيه وإذا غاب نظره عن الطعام نسيه وأقبل على صلاته، فهنا ما يكون التقديم في الأكل هنا له وجه، بل تقديم الصلاة هو الذي ينبغي وهو الألزم، إنما النبي صلى الله عليه وسلم أمر هنا بتقديم العشاء قبل صلاة المغرب من أجل أن لا ينشغل القلب، فإذا لم يكن يحدث هذا الانشغال فلذلك تكون الصلاة هي المقدمة.

كذلك لو كان بقاءه يؤخر الصلاة أو يخرج الصلاة عن وقتها، نقول: يجب تقديم الصلاة على العشاء، على الأكل، وهذا أمر لازم، وتبين من ذلك أن الحكمة في هذا هو أن المطلوب في الصلاة هو حضور القلب، والحاجة إلى الطعام تشغل القلب عن الصلاة، ففضّل تقديم الأكل على الصلاة لتؤدي الصلاة براحة بال وحضور قلب، لكن كما أسلفت أنه مقيد بما إذا لم تخرج الصلاة عن وقتها.

هنا عندنا أمر بتقديم العشاء على صلاة المغرب، والأصل في الأمر أنه يقتضي الوجوب، لكن جمهور العلماء حملوا تقديم الطعام على الصلاة على الندب، ولعل هذا هو القول الراجح.

وأما الظاهرية فحملوه على الوجوب على منهجهم، فلم يصحوا الصلاة في هذه الحال عملاً بالظاهر، يعني الصلاة باطلة من أصلها، فلا تصح ولا تنعقد على مذهب أهل الظاهر، لكن جمهور العلماء قالوا بأن الصلاة صحيحة في هذا وأن الأمر إنما هو للندب.

**ما ينبغي أن ينبه إليه في هذا المقام** أن المسلم لا يتحرى أوقات الصلاة لما يشغله عنها من أكل وشرب ونحو ذلك، فيقدم عن وقت الصلاة أو يؤخر عنه، أما أن يتحرى الوقت فهذا مما لا ينبغي، لكنه إذا حصل فإنه مقيد كما تقدم: أن تكون الرغبة ملحة إليه، ولو صلى لانشغل باله عن الصلاة، ثم لا يخرج الصلاة عن وقتها، فهذا يُقيد بهذه، أما لو انتفى شرط من هذا فحينئذٍ فالصلاة مقدمة والله أعلم.

وعلى هذا فالصلاة صحيحة أيضاً حتى مع انشغال القلب، لو فرضنا إنساناً صلى وهو منشغل قلبه بهذا الأكل أو بهذا الطعام أو الشراب، وصلى قبل أن يأكل أو أن يشرب انشغل قلبه، فالصلاة صحيحة وإن كان حصل فيها نقص أي في أجرها بمقدار ما انشغل عنها باله، فالمسلم ليس له من صلاته إلا ما خضع فيها أو ما عقل منها.

والأحاديث تدل على مثل هذا، فالنبي صلى الله عليه وسلم لما سألته عائشة رضي الله عنها عن الالتفات في الصلاة قال: **(هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد)** فكذلك الانشغال أو انشغال القلب في الصلاة هو أيضاً اختلاس يُنقص من أجر العبد، فالعبد حري به أن يثبت على بدنه وقلبه.

**((باب المساجد))**

**نذكر تعريف المسجد ومقدمة في هذا**

**المساجد:** جمع مسجد، والمسجد **لغة:** هو بالكسر ويقال بالفتح، بكسر الميم مسجَد ويكون على وزن مِفْعَل، ولعله يصح، أو في لغة بفتح الميم وكسر الجيم مَسْجِد، كل ذلك من اللغة والله أعلم، وهو اسم مكان السجود.

**وتعريفه شرعاً:** فكل موضع في الأرض هو مسجد، لقول النبي صلى الله عليه وسلم **"وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً"** لكن لعل المراد بالمسجد هنا: هو ما خصص أو حدد لإقامة الصلاة فيه، سواء كان بنياناً أو غير بنيان، فيسمى مسجداً.

ولعل في قول النبي صلى الله عليه وسلم: **"وجعلت لي الأرض مسجداً"** هو مما اختص به النبي صلى الله عليه وسلم عن الأنبياء، وبما خُصَّت به أمته عن الأمم السابقة، فالأُمم السابقة والأنبياء السابقين إنما أبيحت لهم الصلوات في مواضع مخصوصة لا يصلون في غيرها، أما النبي صلى الله عليه وسلم ففي أي مكان تدركه الصلاة صلى، وكذلك أمته، ففي أي مكان تدرك المسلم الصلاة أو وقت الصلاة فإنه يصلي في ذلك المكان ما لم يكن من الأماكن التي لا يجوز الصلاة فيها كمواقع النجاسة، وأعطان الإبل وما جاء فيها، أو على شاكلتها من النهي، لعله يأتي معنا شيء من هذا إن شاء الله تعالى.

المسجد كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك في العصور المتقدمة، ولا يزال والله الحمد فيه بعض الشيء مما كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، المسجد مكان للعبادة وإقامة الشعائر، فالمسلمون يتلاقون فيه، يجتمع قلوبهم بضعيفهم، وغنيهم بفقيرهم، وعالمهم بجاهلهم، فكان المحرومون من هذه المواهب يتلقونها ويأخذونها ممن من الله عليهم بها من إخوانهم العلماء والأقوياء والأغنياء والعقلاء.

أيضاً مما كان في المسجد أن المسجد كان جامعة علمية، تلقى فيه الدروس بشتى أنواعها، فيجتمع العلماء بطلبة العلم ويعلمونهم ما يحتاجون إليه من علوم في شتى أنواع العلوم.

أيضاً المسجد نستطيع أن نقول إنه مقر للتشاور في أمور المسلمين، وفيه تعقد رايات الجهاد، وتجهز الجيوش، وكان المسجد هو كل شيء في حياة المسلمين، ذلك أن أساس حياتهم كانت قائمة على الدين، وكانت أمورهم تسير وفق أحكام الإسلام، ولما فصلوا الإسلام عن الحياة وقصروه على العبادات وأبعدوه عن مجال الحياة والسياسة ضعف أمر المسجد، وهان شأنه، واستخف البعض بمقامه، وصار لا ينتابه إلا الطبقة التي قد تكون محرومة من بعض أمور الحياة من الجاه والمال وما إلى ذلك.

وأما ما يُرى في كثير من البلدان من تنجي بعض الأشخاص عن المسجد من المسلمين إما تكبراً أو تعالياً أو انشغالاً فهذا أمر خاص به، وكأنه في ذلك ما أقام للمسجد وزنه، والمسجد إنما حدد وبني وأول عمل قام النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة هو بناء المسجد، فما كان هذا عبثاً منه صلى الله عليه وسلم إنما كان لغاية ولا اجتماع الناس فيه ولتواجدهم وتشاورهم في أمورهم.

**أول الأحاديث المقررة في هذا الباب وهو:** عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)** متفق عليه، وزاد مسلم **(والنصارى)** يعني: **(قاتل الله اليهود والنصارى)**، ولهما من حديث عائشة رضي الله عنها: **(كان إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً)** وفيه: **(أولئك شرار الخلق)**.

هذه الألفاظ وردت في هذا الحديث، والحديث كما نرى في الصحيحين، وبعض الزيادات فيه في أحدهما فلسنا بحاجة إلى بيان درجته ما دام في الصحيحين أو في أحدهما.

### **الألفاظ الواردة:**

**قاتل الله اليهود:** والمراد بذلك طردهم وإبعادهم من رحمة الله سبحانه وتعالى، لأن الطرد والإبعاد من رحمة الله هو اللعن، وقد جاء ذلك صريحاً في حديث عائشة رضي الله عنها في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"** قال ابن عباس رضي الله عنهما (كل شيء في القرآن قتل فهو: لعن)، وقال ابن عطية: (قاتلهم الله: دعاء عليهم عام لأنواع الشر، ومن قاتله الله فهو المغلوب) وبلا شك من كان الله سبحانه وتعالى هو مقابله في المقاتلة حتماً ستكون الغلبة لله سبحانه وتعالى، ولا أحد يغلب الله عز وجل، فإذا معنى قاتله هنا: لعله جاء مصرحاً به في الحديث الآخر، هو اللعن، واللعن معناه: الطرد والإبعاد من رحمة الله سبحانه وتعالى، وبلا شك أن العبد إذا أبعد عن رحمة الله سبحانه وتعالى فبلا شك أنه طاح في جمع من الشرور والآثام، وهذا كله كما قال العلماء والسلف في هذا المعنى.

### **هذا الحديث فيه عدة أحكام:**

**الرواية الأولى في هذا الحديث** قول النبي صلى الله عليه وسلم **"قاتل الله اليهود"** إنما قالها صلى الله عليه وسلم في سياق الموت، لأن عائشة رضي الله عنها قالت: (لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"** تقول يحذر ما صنعوا أو يحذر مما صنعوا) فهذا رواية اللعن، وإنما كان ذلك في مرض موت النبي صلى الله عليه وسلم.

**والرواية الثانية:** أما ما جاء من زيادة من قول النبي صلى الله عليه وسلم **"أولئك شرار الخلق"** فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (إن أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهن أجمعين ذكرتا للنبي صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها في الحبشة فيها تصاوير فقال: **"إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات، بنوا على قبره مسجداً فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة"**) إذاً هاتان روايتان للحديث، فرواية كانت أولى وهي عندما قدمت أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما من الحبشة فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم بما رأتا في الحبشة؛ فقال هذا القول، وأما اللعن وإنما كان من النبي صلى الله عليه وسلم في مرض موته، وكان ذلك تحذيراً للأمة من الوقوع فيما وقع فيه أولئك، لأن الإخبار عما كانت فيه الأمم السابقة من الضلال هو التحذير من الوقوع في مثل عملهم، وبلا شك

أنه كلما كان العمل مخالفاً للهدى النبوي بلا شك كان مبعداً عن الله سبحانه وتعالى.

**في هذا الحديث** تحريم التصاوير في المساجد، لاسيما للرجال الصالحين فالفتنة فيهم أكبر وأعظم، وإلا فغيرهم كذلك يحرم التصوير في المساجد وجعل الصور في المساجد أو المجسمات في المساجد، وبلا شك أن هذا إثم، وكل ما كان لعالم أو من يُقتدى به أو يُظن فيه الخير كان ذلك أعظم فتنة وأعظم ذنباً وجرمًا، وسيأتي لذلك زيادة بيان إن شاء الله تعالى.

**أيضاً مما في هذا الحديث** أن الصلاة في تلك المساجد لا تصح، التي تتخذ أو كانت فيها القبور أو فيها التماثيل؛ لمشابهة ذلك بعبادة الأصنام، وقد جاء النهي عن الصلاة في المقابر، وسنأتي إليه إن شاء الله تعالى.